

قطع رأس يوحنا المعمدان

كان إسم يسوع قد انتشر في كل أنحاء المملكة لكنه لم يصل إلى أذني هيرودس. السبب في نشر الإسم كان بشارة الإثني عشر رسولاً الذين حملوا إسم معلمهم إلى كل الجليل. نجد في هذا المقطع ثلاث أحكام:

- 1- حكم الضمير المذنب. كان هيرودس مذنباً إذ سمح بقتل يوحنا المعمدان وها هو ضميره يلاحقه. عندما يقوم إنسان ما بعملٍ مجرم يصبح العالم كله عدوه (في عقله). فلا يستطيع السيطرة على أفكاره. و عندما يفكر تُرجعه أفكاره إلى العمل المجرم الذي ارتكبه. لا يمكن لإنسان أن يهرب من ذاته، و إذا كانت ذاته تتهمه، تصبح حياته جحيماً. يعيش خارجياً بخوف. يُكتشف أمره. و سيدفع يوماً ثمن أفعاله. عندما سمع هيرودس عن يسوع، فكر أول ما فكر فيه هو أن هذا اليسوع هو يوحنا المعمدان الذي قتله، قد رجع ليحاسبه. إن حياة الخطيئة هي حياة تلاحق صاحبها، و الخطيئة لا تستأهل السعر الذي تطلب دفعه.
- 2- هناك حكم المتدينين: بعضهم ظنّ أن هذا اليسوع هو إيليا الذي رجع. انتظر اليهود مجيء الماسيا. و كانت هناك أفكار مختلفة عنه، و الأكثر انتشاراً هي تلك التي علمت بأنه سيكون ملكاً منتصراً على أعداء جنسه و سيحكموا العالم. قسم مهم من تلك النظرية يقول: "انه و قبل مجيء الماسيا سيظهر إيليا – الأهم بين الأنبياء- و كسابق له".

هذا كان مفهوم الرجل الذي كان يأمل في أن يجد في يسوع تحقيقاً لطموحاته. لم يفكر بيسوع كشخص عليه أن يخضع له و يضع ذاته تحت تصرفه، و لكنه فُكر فيه كشخص يمكن استغلاله مثل هؤلاء الأشخاص الذين يفكرون بمصالحهم قبل أن يفكروا بإرادة الله.

- 3- ثم كان صوت الأشخاص الذين كانوا ينتظرون صوت الله. رأوا في المسيح نبياً. لقد توقف ظهور الأنبياء قبل ثلاثة قرون من ذلك الوقت. فلم يُسمع خلالها صوت نبي واحد. لا شك بأن يسوع أ همّ بكثير من نبي، لأنه لم يجلب صوت الله إلى العالم فحسب، لكنه جلب للإنسان قوة الله و حياة الله، و الله ذاته... نجد في هذه القصة بساطة دراما كبيرة.

دعونا أولاً ننظر إلى شخصية هيرودس: هيرودس الملك قد تزوج مرات عدة من نسوة بما فيهم زوجة أخيه. و هو المسؤول عن مذبحه الأولاد عند ولادة المخلص (متى 2: 16-18). و أصبح في أواخر حياته يشك في كل شخص حتى أنه قتل أكثر أعضاء عائلته لدرجة كان المثل يقول: " إنه لأكثر أماناً أن تكون خنزير هيرودس بدلاً من أن تكون ابن هيرودس.

هيروديا أم سالومة، و ابنة أخ هيرودس أريستوبولس. إبنتها سالومة التي رقصت أمام هيرودس. فبزواجه من هيروديا – زوجة أخيه، يكون الملك قد أهمل القانون اليهودي حسب (لافايكس 18: 20-21) مما أغضبهم و وطئ على قانون المبادئ و الآداب.

ويُخ يوحنا المعمدان هيرودس على تصرفاته (زواجه من امرأة أخيه). لكن و بالرغم من توبيخه له بقي يحبه و يخافه بنفس الوقت، لأن يوحنا كان صادقاً و مؤمناً. لكن هيروديا كانت مختلفة. كانت حاقدة على

يوحنا و صمّمت على قتله. و سنحت لها الفرصة خلال عيد ميلاد هيرودس حيث رقصت ابنتها أمام مدعوويه....

لا شك بأن الخطيئة و الحسنى متلازمين في الإنسان. كان بإمكان هيرودس أن يحب يوحنا و يبغض رسالته و بنفس الوقت لم يتمكن من التخلص من تعبه به. و كان هيرودس إنساناً يتصرف باندفاع. فوعد سالومة و عدأ دون أن يفكر به البتة. ثم خاف من أن يظهر أمام مدعوويه ضعيفاً في حال تراجعته عن وعده. و أظهرت لنا هيروديا ماذا يمكن أن تفعل امرأة حقودة مع العلم بأنه ليس من شيء في العالم أفضل من امرأة فاضلة. و مشكلة هيروديا هي أنها أرادت أن تقضي على الرجل الذي تجرأ و واجهها بخطاياها. إذ كانت ترغب أن تفعل ما تريده دون أن يذكرها أحد بمسؤوليتها الأخلاقية. قتلت يوحنا حتى تستطيع أن تُخطئ بسلام. متناسية بانه سوف لن تجتمع أو ترى يوحنا، لكنها سترى و تجتمع بالله.

يقف المعمدان منتصباً أمامنا كرجل شجاع. رجل الصحراء و العالم الواسع. فسجنه في زنزانه تحت الأرض يعتبر آخر وسيلة لتعذيبه. لكن يوحنا كان يفضل الموت على الكذب. كان ضمير الله... يجرب الكثيرون أن يقتلوا صوت الضمير إن استطاعوا. لذلك يحمل المتكلم باسم الله حياته و مصيره بين يديه.

عاد الرسل و أخبروا يسوع بما حدث معهم. كانت فترة تبشيرهم موفقة جداً. إن إيقاعاً لحياة مسيحية قد بزغ. الحياة المسيحية تتطلب ذهاب دائم من حضرة الإنسان إلى حضرة الله و العودة إلى حضرة الإنسان من حضرة الله.

هناك خطرين يواجهان حياتنا: الأول هو خطر حياة نعمل فيها باستمرار. لا يمكن لإنسان أن يعيش و هو يعمل باستمرار. كذلك لا يمكنه أن يعيش حياة مسيحية دون أن يُعطي الله الفرصة ليجتمع به. يمكن أن تكون كل مشاكل حياتنا ناتجة عن كوننا لا نعطي الله الفرصة ليكلّمنا، لأنه لا نعرف كيف نصمت و نستمع لصوته. فلا نعطيه الوقت ليملأنا بقوته الروحية: لذلك نتخبّط في مشاكل حياتنا، و نلجئ إلى المسكنات الأرضية لنهدئ، و لو لبعض الوقت ثورة أرواحنا، الصارخة إلى تدخله و محبته.

هل تقضي كل وقتك في عمل ما هو للعالم؟ هل من وقت للصلاة لله و لسماع صوته؟ إسأل نفسك أيها القارئ الكريم و جرّب أن تجد الجواب .

أمين

المترولوجيت بولس صليباً

